

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تَتَمِّمُ الْإِسْتِدْلَالُ الْبُرْهَانِيُّ تَجَاهُ النَّزَغِ الشَّيْطَانِيِّ

لَازِلَنَا نَتَحَاوَرُ حَوْلَ آيَةِ النَّزَغِ الشَّيْطَانِيِّ، حَيْثُ:

1. إنَّهُ تَعَالَى قَدْ خَتَمَ الْآيَةَ مَعْلَلًا قَائِلًا: «إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ» فَيُعَدُّ قَرِينَةً أُخْرَى عَلَى مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى بِنَزْغٍ مِّنْ جَانِبِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْمَعَانِدِينَ وَالْجَاهِلِينَ الْهَادِمِينَ لِأَمْنِيَّاتِ النَّبِيِّ وَأَهْدَافِهِ، فَلَا يَرْتَبِطُ التَّعْلِيلُ بِ«فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ» إِذَا لَا يَتَلَائِمُ بَلْ يَرْتَبِطُ بِعِبَارَةِ «مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ».[1]

2. فَلَوْ عَارَضْتَنَا رِوَايَةً دَالَّةً عَلَى «وَسُوْسَةِ الْمَعْصُومِ» لَتَوَجَّبْ تَبْرِيرُهَا بِشَكْلِ مَا أَوْ نَبَذُهَا تَامَّاً، نَظَرًا لِعَصْمَةِ الْمَطْلَقَةِ الْعُقْلِيَّةِ، وَلِلَّاِيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ السَّالِفَةِ، وَلِلْقُوَّةِ الْقَدِيسَيَّةِ -رُوحِ الْقَدْسِ- الَّتِي يَمْتَلِكُونَهَا[2] فَكَمَا أَنَا لَا يَخْطُرُ بِيَالِنَا أَبْدًا أَنْ تَخْرُجُ أَمَامَ النَّاسِ بِحَالَةِ عَرَيَانَيَّةٍ وَلَا يَطْرُقُ أَذْهَانَنَا أَيْضًا أَنْ تَنْذُوَقَ الْقَدَارَاتِ بِتَاتَّاً، بِحِيثُ لَا نَوْسُوسُ بِهَذِهِ الْأَفْاعِيلِ، فَمَا بِالْكَ بِسَاحَةِ الْمَعْصُومِ النَّوْرَانِيَّةِ -قَبَالَ ظَلْمَةِ الْوَسُوْسَةِ- حَيْثُ قَدْ صَرَحَتِ الرِّوَايَاتُ أَنَّهُمْ دَوْمًا بِمَحْضِرِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى أَنْتَأْهُمْ مِنَاهُمْ، فَهَذِهِ فَضْلِيَّةُ إِلَهِيَّةٍ تَكَوِّنِيَّةٌ تَامَّاً بَحْدٍ لَا تَخْضُعُ لِلتَّخْصِيصِ[3] -كَمَا أَسْلَفْنَا مُبَسِّطًا- فَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقَ قَدْ تَجَاهَرَ تَعَالَى قَائِلًا: «إِنَّ عَبْدِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا»[4] وَمَمَّا يَدْعُمُ تَفْكِيرَنَا تَجَاهَرَ مَعْنَى «النَّزَغِ» هِيَ مَقَالَةُ «تَفْسِيرُ أَطَيْبِ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» لِلْسَّيِّدِ عَبْدِ الْحَسِينِ الطَّيِّبِ (1٣٧٠ق) -بِالْفَارَسِيَّةِ-[5].

3. وَ فِي هَذَا النَّسْقِ أَيْضًا قَدْ وَرَدَتْ رِوَايَةً لَمْ تَنْسِبْ النَّزَغَ إِلَى تَفْكِيرِ النَّبِيِّ أَسَاسًا، فَهِيَ كَالْتَالِي: «قَالَ إِبْرَاهِيمُ زَيْدٌ: لَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ يَا رَبِّ الْغَضَبِ؟ فَنَزَّلَ قَوْلُهُ: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ». [6] فَقَدْ كَانَ الْغَضَبُ يَشْتَعِلُ مِنْ قِبَلِ الْجَاهِلَةِ وَالْمَرَدَةِ كَيْ يُثِيرُوا الْعِدَاوَةَ وَالْمَقْنَةَ، فَبِالْتَالِي لَا يَرْتَبِطُ النَّزَغُ بِنَفْسِ النَّبِيِّ الْبَاطِنِيَّةِ إِطْلَاقًا.

4. وَ فِي هَذِهِ الْحَلَبَةِ أَيْضًا قَدْ اسْتَذَكَرَ فَخْرُ الرَّازِيُّ رِوَايَةً أُخْرَى قَائِلًا: «وَرَوَى الْحَاكمُ بِسَنَدِهِ عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ صَرْدٍ قَالَ: «اسْتَبَّ رَجُلٌ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِعِصْمَهُمَا فَأَسْتَدَّ غَضَبُ أَحْدَهُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلْمَةً لَوْ قَالَهَا (الْغَاضِبُ) لِذَهَبِهِ الْغَضَبُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَمْجُونُ تَرَانِي؟ فَتَلَاقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ». [7] فَقَدْ اسْتَبَانَ شَأْنُ نَزْوَلِ الْآيَةِ وَأَبْعَادُهَا أَيْضًا حِيثُ إِنَّ الْغَضَبَ قَدْ اعْتَرَاهُمْ مِنَ الْخَارِجِ نَتْيَجَةً النَّزَغِ وَالْإِفْسَادِ بَيْنِ اثْنَيْنِ -كَمَا أَمْضَيْنَا مَعْنَاهُ- فَبِالْتَالِي قَدْ أَصَابَ الْغَيْرَ لَا نَفْسَ رَسُولِ اللَّهِ.

5. وَ فِي هَذَا الاتِّجَاهِ أَيْضًا لَوْ تَدَبَّرْنَا فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ: «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[8] لَوْجَدْنَاهَا تُنَاهِرُ آيَاتِنَا الْمُبْحُوثَةَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ بِالْإِسْتَعْدَادِ مِنْ «الْكَبِيرِ الْعَارِضِ عَلَيْهِمْ الْمَانِعِ عَنْ تَقْبِيلِ الْحَقِّ» حِيثُ قَدْ عَرَضَ عَلَى قُلُوبِ الْمُجَادِلِينَ الْجَاهِلِينَ، لَا عَلَى إِرَادَةِ النَّبِيِّ وَأَفْكَارِهِ.

6. وأمّا الرواية التالية: «وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ثُمَّ قَالَ: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ، قَالَ: إِنَّ عَرَضَ فِي قَلْبِكَ مِنْهُ شَيْءٌ وَسُوْسَةٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا - فَإِنَّا هُمْ مُبَصِّرُونَ، قَالَ: وَإِذَا نَذَرُهُمُ الشَّيْطَانُ الْمُعَاصِي وَهُمْ حَلَمُهُ عَلَيْهَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِذَا هُمْ مُبَصِّرُونَ، قَالَ: وَإِذَا نَذَرُهُمُ الشَّيْطَانَ وَإِخْوَانُهُمْ مِنَ الْجِنِّ يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَيَّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ...»[9] فلو سلّمنا انتساب الكتاب إلى علي بن إبراهيم و تماميّة أسانيدّه، ولكن لا تَبُدو الإِجَابَةُ صَارِفَةً عن فم المعنّصوم عليه السَّلَامُ بل المُسْتَظْهَرُ هو أَنَّ صَاحِبَ الْكِتَابِ بِقَلْمَهُ قد فَسَرَهَا.

[1] و لكن يَبْدُو جَلِيًّا أَنَّهُ خَلَفَ الظَّهُورَ فَإِنْ فِقْرَةً «سَمِيعٌ بَصِيرٌ» تَعْلِيلٌ لِلِّاستِعَاذَةِ تَمَامًا، و لَا يَخْدِشُ مَرَادَ الأَسْتَاذِ الْمُعَظَّمِ أَيْضًا لِأَنَّهُ تَعَالَى سَيَنْسَخُ وَيَمْسَحُ إِلَقَائِاتِ الشَّيْطَانِ وَنِزَغَاتِهِ الْوَارِدَةَ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْجَاهِلِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِبِرْكَةِ الِاسْتِعَاذَةِ.

[2] بل و في هذه المَسِيرَةِ الْحَسَاسَةِ قد صَرَّحَتْ بَعْضُ الْرَوَايَاتِ بِانْعَدَامِ السَّهْوِ وَشَتَّى الْمَوَانِعِ كَالْوَسُوْسَةِ وَ... بِبِرْكَةِ رُوحِ الْقَدْسِ حِيثُ قَدْ وَرَدَ خَبْرُ مَفْضُلِ ابْنِ عُمَرَ الْمَرْوِيِّ فِي بَصَائِرِ الْدَرَجَاتِ الْحَدِيثِ ٣ قَالَ: «قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأْلَتِهِ عَنْ عِلْمِ الْإِمَامِ بِمَا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ مَرْخِيٌّ عَلَيْهِ سَرْتَهُ، فَقَالَ: يَا مَفْضُلَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعْلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَمْسَةً أَرْوَاحَ: رُوحُ الْحَيَاةِ فِيهِ دَبٌّ وَدَرْجٌ، وَرُوحُ الْقُوَّةِ فِيهِ نَهْضَةٌ وَجَاهِدٌ وَرُوحُ الشَّهُوَةِ فِيهِ أَكْلٌ وَشَرْبٌ وَأَتَى النِّسَاءَ مِنَ الْحَلَالِ، وَرُوحُ الْإِيمَانِ فِيهِ أَمْرٌ وَعَدْلٌ، وَرُوحُ الْقَدْسِ فِيهِ حَمْلُ النَّبُوَّةِ، فَإِذَا قَبَضَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَصَارَ فِي الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَرُوحُ الْقَدْسِ لَا يَنَامُ وَلَا يَغْفِلُ وَلَا يَلْهُو وَلَا يَسْهُو، وَالْأَرْبَعَةُ أَرْوَاحٌ تَنَامُ وَتَلْهُو وَتَغْفُلُ وَتَسْهُو، وَرُوحُ الْقَدْسِ ثَابَتٌ يَرَى بِهِ مَا فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَربِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا، قَالَ: جَعَلْتُ فَدَكَ يَتَنَاهُولُ إِلَيْهِ السَّلَامُ مَا بِبَغْدَادِ بِيَدِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَمَا دُونَ الْعَرْشِ».

[3] بِأَنَّ يَتَصَوَّرُ مَعْتُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ مَطْلَقَ الرِّجْسِ وَالظَّلْمَةِ وَسُلْطَانَ الشَّيْطَانِ سَوْيَ فِي مُورَدِ الْوَسُوْسَةِ وَالنَّزْغِ، فَهَذِهِ مَقَالَةٌ تُضْحِكُ الْكُلَّ حَقِيقَةً، وَقَدْ أَكَّدَ الأَسْتَاذُ الْمُبَجلُ مُسْبِقًا بِأَنَّ الدَّلِيلَ الْعُقْلَيِّ الَّذِي قَدْ بَرَهَنَ لَنَا «عَصْمَتْهُمْ» لَا يَخْضُعُ لِلتَّخْصِيصِ نَهَائِيًّا حَتَّى بِمُورَدِ وَاحِدٍ - فِي نَوْمِ النَّبِيِّ - إِذْ قَدْ اسْتَبَانَ بِلِقَاءُ الْمُؤْمِنِ الْأَعْلَمِ بِأَنَّ الْأَدَلَّةَ الْعُقْلَيَّةَ لَا تَسْتَقْبِلُ الْإِسْتِئْنَاءِ، فَلَوْ افْتَرَضْنَا - جَدَلًا - إِسْتِئْنَاءً وَاحِدًا لَانْهَارَتْ أَرْكَانُ الْعَصْمَةِ بِأَسْرِهَا إِذْ نَقْيَضْنَا الْمَوْجَةَ الْكَلِيَّةَ هِيَ السَّالِبَةُ الْجَزِئِيَّةُ.

[4] سورة الإِسْرَاءُ الآيةُ 65.

[5] حِيثُ قَدْ تَحَدَّثُ بِالْفَارَسِيَّةِ قَائِلًا: «وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ مُفْسِرٌ كَرِدَنْدَ بُو سَاوُسْ شَيْطَانٌ وَأَينَ مَعْنَى غُلْطٌ صَرْفٌ اسْتَ زِيرَا شَيْطَانٌ بِهِ قَلْبٌ مَطْهُرٌ أَوْ رَاهِنْ دَنَارَدُ وَاللَّهُ الْعَالَمُ أَيْنَكَهُ مَرَادُ وَسَاوُسْ شَيْطَانٌ اسْتَ بِهِ قُلُوبُ كُفَّارٍ وَمُشْرِكِينَ دَرِ أَذْيَتِ وَاهَانَتِ بِأَنَّ حَضْرَتَهُ كَهُ أَذْيَتِ وَآزَارَهَا اِنْسَانٌ رَا اِزْ جَا مِيْكَنْدَ چَنَانْچَهُ دَرِ آيَاتٍ قَبْلَهُمْ دَاشْتِيمَ كَهُ دَسْتُورُ صَبَرٌ وَبِرْدَبَارِيٌّ وَدَفَعَ بِالْتَّى هِيَ اِحْسَنُ دَادَهُ شَدَهُ، فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ پِسْ پِنَاهُ دَهُ خُودُ رَا بِخَدَاوَنْدَ مَتَعَالٌ تَا خَدَاوَنْدَ شَرَ آنَهَا رَا اِزْ تَوْ دَفَعَ فَرْمَادِ چَنَانْچَهُ مِيْفَرَمَادِ: إِنَّ الَّذِينَ يُجَاهِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ مَا هُمْ بِالْغَيْرِيِّ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ سُورَةُ الْغَافِرِ الآيَةُ 56..».

[6] تَفْسِيرُ نُورِ الثَّقَلَيْنِ ، جَلْدُ 2 ، صَفَحَةُ 111.

[7] رُوحُ الْمَعَانِي: 125 / 24.

[8] سُورَةُ الْغَافِرِ الآيَةُ 58..

[9] تَفْسِيرُ الْقَمِيِّ، جَ 1 ، ص: 254